اليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرت بأمره) سورة النحل/١٢، ثم أن هذا التسخير بذاته، دعوة لإعمال العقل وتثوير الفكر، إذ يقول سبحانه في ذيل الآية آنفا: (إن في ذلك لايات لقوم يعقلون) سورة الرعد/ ٤.

فإذا علمنا ذلك استوعبنا حقيقة المكانة العظيمة للفكر، والمقام الذي يتمتع به، تبعا للمقام الذي يحوزه حامله وهو الإنسان.

ثانيا: أنها تتجلى عن عظمة الدين الإسلامي وعالميته وإنسانيته، وأنه عقيدة قائمة على العلم والمعرفة، وأن وسيلته في كسبها هو العقل والفكر، دون سائر الأديان الأخرى، التي جعلت بينها وبين العقل والفكر حاجزا، فأضحت هي في جانب، وعقل الإنسان في جانب آخر، فعطلت العقل وحجمت الفكر، وقتلت أسباب النظر فيه، وأعطته مساحة واسعة من السير في المجهول، والغرق في لجج الظلم والجهل، وسمحت له، بل دفعت به إلى عبادة مخلوقات، خلقت أصلا لتكون في خدمته.

والحق إن تعطيل أدوات الفكر عند أصحاب هذه الأديان، التي لا تشمل الأديان الأرضية أو البشرية، كعباد الشمس والقمر والنجوم والبقر، وسواهم، بل تشمل حتى الأديان السماوية، التي رفعت السماء يدها عنها، ولم تتكفل بحفظها أو حفظ كتبها، ونسختها بدين الإسلام، فهي الأخرى، منعت العقل وعقلت الفكر، حين سمحت لمعتنقيها بالإشراك بالله، وإدخال البدع والأكاذيب فيها

محورية الفكر في القرآن الكريم

زخر القرآن الكريم بالآيات الداعية إلى إعمال الفكر في هذا الخلق المترامي، وبما يحتويه من عجائب صنع الله تعالى، ولو أننا أردنا استقصاء الآيات الواردة في الحث على التفكر والحض عليه، لاستلزم المقام مباحث ومباحث، ولكننا سنعرض ما يفي الغرض ويحقق المطلوب.

من هنا فإن كتاب الله العزيز تارة يحرك الأفكار نحو الخلق، كقوله سبحانه: (وهو الذي من الأرض وجعل فيها روسي وأنهرا ومن كل الثمرت جعل فيها زوجين اثنين ينشى اليل النهار إن في ذلك لايت لقوم يتفكرون) سورة الرعد/3، وقوله جل شأنه مبينا مكانة الماء في بث الحياة في أنحاء هذا الكون المترامي، وأنه من أهم الأسباب التي منحت الكون الحياة، وقوله تعالى: (ينيث لكريه الزرع والزيوت والتخيل والأغنب وين كل الثمرت إن في ذلك قامة لقوم يتفكرون) سورة النحل/١١، ملفتا الأنظار ومحركا الأفكار باتجاه حقيقة، اختلاف الثمرات وتنوعها، مع كونها تتفتق من ماء واحد، وتراب واحد، وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام)، حينها سئل عن طعم الماء فقال (عليه السلام) طعم الماء طعم الحياة))(١)فسبحان الذي خلقها وسواها))

وفطرها، من كائن لا طعم له ولا لون ولا رائحة، ومن تراب أصم، ليهب تلك الحيوية والجمال الفائق والطعم الرائق والألوان المتعددة لتلك الأصناف المتنوعة من الفواكه والخضر والنباتات، التي خلقت لتشبع رغبة الإنسان، وتلبي احتياجاته الأساسية من البروتينات والفيتامينات، وسواها من العناصر الغذائية التي يحتاجها جسم الإنسان، قال تعالى:

وجعلنا من الماء كل شئ حي) ، وتارة أخرى يهيج أسباب النظر) والتأمل في العقول نحو عجيب مخلوقاته سبحانه، قال جل عزه كاشفا عن أسرار النحل: (ثكلى من كل الثمرت فأسلكي شبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألونه فيه شفاة الناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) سورة النحل/69 ، وتارة ثالثة يدعو الى التأمل في ماهية الخلق، وكيفية تناسل وتكاثر بني البشر، قال سبحانه: (ومن اينته أن خلق لكم من أنفسكم أزوجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لايت لقوم يتفكرون) سورة الروم/٢١،مؤخرا الرحمة عن المودة، لأن الزوجين يحتاجان إلى الرحمة في كبرهما، أكثر مما يحتاجان إلى المودة، فها أأنس بالمودة في شبابها، وأحوج للرحمة في شيخوختمها، ولا يخفى ما في لفظة (لتسكنوا) من إشارة واضحة على العلاقة الزوجية التي .الكليني: الكافي ٦/٣٨١